انتهاكات الإرهاب لمواقع التراث الحضاري
في الموصل كنائس حوش البيعة أنموذجاً

The Impact of Armed Conflicts on Cultural Heritage Sites in Mosul
The Churches of Hosh al-Bay‘a as a Model

م. د. زكريا هاشم أحمد الخضر

Asst. Dr. Zakaria Hashim Ahmed Al-Khader

E-mail: Zakria.ha.ah@uosamarra.edu.iq

م.د. فهد عبد السلام محمود

Asst. Dr. Fahad Abdul – Salam mahmood

E-mail: Fahad.a.mahmood@uosamarra.edu.iq

جامعة سامراء – كلية الآداب

College of Arts, Samarra University

أ.د. زين العابدين موسى جعفر

Prof. Dr. Zain Al-Abidin Musa Jaafar

جامعة بغداد – كلية الآداب

College of Arts, University of Baghdad

E-mail: Zainalabideen.m@coart.uobaghdad.edu.iq

الكلمات المفتاحية: حوش البيعة، داعش، كنيسة الطاهرة، كنائس الأرمن.

Keywords: Al-Bay'a courtyar, ISIS, Al-Tahera Church, Armenian churches.

الملخص

شهدت مواقع التراث الحضاري في العراق خروقات وانتهاكات خطيرة على مدى السنوات العشرين الماضية، فقد تعرض القسم الأكبر من تلك المواقع للأضرار جراء النشاطات العسكرية للمجاميع الإرهابية التي بدأت تنشط في مناطق عديدة من العراق بعد عام ٢٠٠٣م، لا سيما بعد اجتياح تنظيم داعش لمناطق عديدة من العراق عام ٢٠١٤م، ومعها بدأ سياسته الممنهجة تجاه تلك المواقع من تفجير وتخريب ونبش وحفر أنفاق وغيرها من الأساليب مستهدفاً الموروث الحضاري في العراق، ومن جملة المواقع التي تعرضت للتخريب مجمع كنائس حوش الخان (حوش البيعة) في مدينة الموصل، وقد تم توثيق مجمل تلك الانتهاكات لتبقى شاهداً على إحدى المراحل التاريخية التي عصفت بالعراق.

Abstract

Over the past twenty years, Iraq's cultural heritage sites have witnessed erious violations and breaches. Most of these sites suffered damage due to the military activities of terrorist groups that became active in various regions of Iraq after 2003, particularly after ISIS invaded large parts of the country in 2014. ISIS adopted a systematic policy targeting these sites, involving bombings, destruction, looting, tunneling, and other methods that deliberately targeted Iraq's cultural legacy.

Among the sites documented was the Church Complex of Hosh alKhan (Hosh alBay'a) in the city of Mosul. All these violations were documented as a testament to one of the darkest historical phases that swept through Iraq.

المقدمة:

شهدت مواقع التراث الحضاري في العراق خروقات وانتهاكات خطيرة على مدى السنوات العشرين الماضية، فقد تعرض القسم الأكبر من تلك المواقع للأضرار جراء النشاطات العسكرية للمجاميع الإرهابية التي بدأت تنشط في مناطق عديدة من العراق بعد عام ٢٠٠٣م، لا سيما بعد اجتياح تنظيم داعش لمناطق عديدة من العراق عام ٢٠١٤م، ومعها بدأت سياسته الممنهجة تجاه تلك المواقع من تفجير وتخريب ونبش وحفر أنفاق وغيرها من الأساليب الوحشية التي استهدفت الموروث الحضاري في العراق، وبعد انتهاء محنة ذلك التنظيم بدأت المؤسسات العراقية في إعادة الحياة في المناطق التي دخلها التنظيم والتي تحولت إلى خراب بسبب سياسته الشاذة، ومعها بدأت إعادة إعمار لبعض تلك المواقع، فكان لزاماً توثيق ما تركه تنظيم داعش من أثر سلبي على ذلك الموروث.

ومن جملة المواقع التي تم توثيقها مجمع كنائس حوش الخان (حوش البيعة) في مدينة الموصل وهو عبارة عن تجمع ثلاثة كنائس رئيسة خُصصت للطوائف الأكثر انتشاراً في الموصل، تلحقها مقر مطرانية ومدرسة دينية مسيحية، وقد تعرضت تلك الكنائس لأعمال تخريب وهدم جراء سيطرة تنظيم داعش على مدينة الموصل (٢٠١٤ – ٢٠١٧م)، وتحويل بعضها إلى مخازن ومقرات لعناصرهم، وبلغ حجم الأضرار في إحداها وهي كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك حداً كبيراً جداً، فقد هدِّم الجزء الأكبر منها ولم يتبق منها إلا جدرانها الخارجية، تليها في ذلك كنيسة الطاهرة للشريان الأرثوذوكس والتي عانت هي الأخرى من الدمار والتخريب على أيدي عصابات داعش الإرهابية، فيما كانت كنيسة الأرمن الأقل ضرراً من بين كنائس حوش الخان، وقد تم توثيق مجمل تلك الانتهاكات لتبقى شاهداً على إحدى المراحل التاريخية التي عصف ببلدنا العراق.

وقد قسمت الدراسة إلى عدة محاور: تناولنا في المحور الأول أضرار كنيسة الطاهرة للسريان الأرثوذوكس وأضرار كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك في المحور الثاني، وأضرار كنيسة الأرمن في المحور الثالث.

أولاً – كنيسة الطاهرة الداخلية للسريان الأرثوذكس:

١ – الموقع والتاريخ:

وهي إحدى الكنائس في مجمع حوش البيعة، تقع في الجهة الجنوبية من المجمع (لوح ١)، وتعرف بكنيسة الطاهرة الداخلية أو التحتانية، تمييزًا لها عن الكنيسة الخارجية التي تحمل نفس الاسم (كنيسة الطاهرة الخارجية او الفوقانية)، يعود تاريخ إنشائها للعام ١٨٩٦م، بعد حصول الكاثوليك على كنيسة بذات الاسم (كنيسة المحبول بها بلا دنس) بفضل فرمان عثماني

صـــدر عام ١٨٥٩م، ظلَّ الســريان الأرثوذكس يقيمون مناســباتهم الدينية فيها قبل الانتقال إلى كنيسة مار أفرام التي بنيت في ثمانينات القرن العشرين في الجانب الأيسر من الموصل (إلياس، ٢٠١٨، ١٢٥) (الألواح ٢، ٣).

٢ – التخطيط والعمارة:

بنيت الكنيســة على غرار الكنائس الشــرقية، تتكون من قاعة بازيليكية تمتد طولياً باتجاه الشرق، تبلغ أبعادها (٣٣ × ١٧ م)، وتعلو قبتها المذبح الرئيس الذي أنشأ في قسمها الشرقي، وعلى جانبيه أنشــا مذبحين آخرين، فأصــبح لها ثلاثة مذابح، أكبرها المذبح المركزي وهو المذبح الرئيس لها، ويلحق بالكنيسة قسم جنوبي يحتوي على ساحة مكشوفة طولية أبعادها (٣٧ × ١٨ م)، تضم في ضلعيها الشرقي والغربي مرافق الكنيسة الأخرى، تميزت الكنيسة بأعمدتها الرشيقة العالية، وزخرفتها ونقوشها، ويقع مدخلها الرئيس في ضلعها الشمالي المطل على الساحة الكبرى لمجمع حوش البيعة، وبذلك تبلغ المســاحة الإجمالية للكنيســة مع كل مرافقها نحو (١٠٠٠ م^{٢}) (زكريا هاشم، ٢٠٢١).

٣ – مظاهر التخريب:

بعد عام ٢٠٠٣م، اقتصــر إقامة المراسـيم الدينية فيها بيوم الأحد فقط، نظراً لقوع الكنيسـة في الأزقة الضـيقة التي عادة ما كانت تشـهد اسـتهدافًا من قبل الجماعات المسـلحة التي نشـطت في الموصـل آنذاك، فأغلقت الكنيسـة أبوابها وهُجِرَتْ تقريبًا، وظلت على تلك الحال حتى احتلال المدينة من قبل تنظيم داعش عام ٢٠١٤م (إلياس، ٢٠١٨، ١٢٥)، فأغلق عناصـــره منطقة حوش البيعة تماماً واتخذوها مقراً لهم بما فيها من أبنية، فتحولت الكنيســـة إلى ثكنة عســـكرية، واُسْتُخدِم سرداب الكنيسة للتحصين وحولوها إلى محطة لتجميع أجهزة الستلايت والأطباق اللاقطة من المواطنين بعد إصــدار أوامر من قبل التنظيم بمنع اسـتخدامها من قبل أهالي الموصـل، وتم العثور على عشـرات الأطباق في فناء الكنيسـة بعد التحرير عام ٢٠١٧م، وأبرز ما تعرضـت له بناية الكنيسة من تخريب خلال تلك المرحلة:

أ – حفر الأنفاق:

وهذه العملية تركزت تحت أرضـيتها، وتظهر تلك الأنفاق بصـورة جلية في القاعة الداخلية المركزية للكنيســة، ولا يُعلم على وجه الدقة ســبب حفرها، والراجح أنها حُفرت للبحث عن بعض المدفونات تحت أرضية الكنيسة، والتي اعتقد عناصر التنظيم أنها كانت تحوي كنوزًا ثمينة دفنت في هه الكنيســة، فيما رجحت روايات أخرى أن عناصــر التنظيم كانوا بصــدد حفر أنفاق دفاعية يســـتخدمونها أثناء العمليات الحربية في مواجهة القوات الأمنية العراقية، إلا أن تلك الأنفاق لم تكتمل بالشكل المطلوب (زكريا هاشم، ٢٠٢١).

ب – العبث بالقبور ومحتوياتها:

وشملت أعمال هدم وتخريب القبور الموجودة داخل الكنيسة وتشويه شواهد القبور الرخامية التي كانت موزعة على جدران الكنيسة، وشهدت الكنيسة أبشع جريمة في هذا الشأن حين عمدوا على نبش بعض قبور آباء الكنيســة المدفونين فيها والعبث بمحتوياتها (زكريا هاشــم، وآخرون، ٢٠٢٤، ٢٨/ ١٣٣).

ج – تحطيم ومحو الرموز والأيقونات:

هي أولى الأعمال التي قام بها عناصــر التنظيم تجاه الكنائس والمؤســســات الدينية المســيحية في المناطق التي ســيطروا عليها، فقاموا بإزالة كافة الأيقونات والكتابات الســريانية والصــلبان بالتكسـير أو التشـويه أو المحو، فضــلاً عن رفع الصــليب الرئيس للكنيســة من أعلى برجها الرئيس (زكريا هاشم، ٢٠٢١).

د – تدمير المذابح:

وشـملت اعمال التنظيم تجاه الكنيسـة تدمير كامل للمذابح الثلاث التي تضـمها الكنيسـة، لاسيما مذبحها الرئيس الذي اشتهر بجمال زخارفه واتقان عمله.

هـ – الأضرار جراء العمليات العسكرية لتحرير الموصل:

وتسببت هذه العمليات بالضـرر الأكبر للكنيسـة، وبالرغم من تعرض منطقة حوش البيعة لضـربات جوية عنيفة ومباشرة أدت إلى هدم مباني عديدة فيها، لا سيما كنيسـة الطاهرة للسريان الكاثوليك، إلا أن كنيسة الطاهرة للسريان الأرثوذكس ظلت بعيدة عن تلك الضربات، إنما أصابها نوع آخر من الاطلاقات، فيبدو أن ثمة معارك وصـدامات مسلحة جرت عند الكنيسـة بين القوات الأمنية ومسلحي تنظيم داعش تسببت بإلحاق أضرار جسيمة بها، فقد تعرضت لخراب كبير أدى إلى انهيار أجزاء من مبنى الكنيســة، وتظهر آثار الاطلاقات النارية بكثافة على جدرانها الداخلية مما تسـببت بسـقوط أجزاء واسـعة من زخارفها وكسـوتها المرمرية التي كانت تزين تلك الجدران، وقد ملأت قطع الرخام والمرمر المتناثر أرضية الكنيسة (الألواح ٤، ٥).

ثانيًا – كنيسة اجميادزين للأرمن الارثوذكس:

١ – الموقع والتاريخ:

تقع ضـــمن مجمع حوش البيعة في منطقة الميدان، تبلغ مســـاحتها نحو (٧٠٠ م^{٢})، شـيدت عام ١٨٥٧م، بفضـل جهود عائلتين أرمنيتين من سـكنة الموصـل هما عائلة سـرسـم وجقماقجيان اللذان تشـاركا بشـراء قطعة أرض صـغيرة ليتم بناء الكنيسـة بعد أن وجدوا الأرمن أنفسـهم في تزايد ملحوظ في المدينة وأصـبحوا في حاجة لكنيسـة خاصـة بهم بعد أن كانوا يتموا

طقوسهم في كنيسة مار توما للسريان الأرثوذكس في ذلك الوقت، وكان تزايدهم طبيعيًا من خلال توافد العائلات الأرمنية إلى المدينة باعتبارها من المناطق المستقرة نسبيًا، فنجد ما بين عامي ١٨٨٠ و١٨٩٠ أن هنالك في الموصل الكثير من العوائل الأرمنية والتي تزايدت فيما بعد أن تعرض الأرمن لمذابح كبيرة خلال الحرب العالمية الأولى، وحدثت أكبر الهجرات الأرمنية إلى العراق، وكان الارمن يأتون إلى الموصل من ثلاث جهات: سنجار، وأربيل، وزاخو فبلغت أعداد تلك العوائل ٨٠٠ عائلة، وكان الأرمن الأرثوذوكس قد بنوا مذبحاً صغيراً عام ١٨٥١م، سمي باسم القديس كريكور المنور، وفي عام ١٩٦٣م هدمت الكنيسة القديمة لتقوم عليها كنيسة جديدة كما شهدت الكنيسة تأهيلًا وتوسيعًا عام ٢٠٠٩م، فظهرت بالشكل الذي تشاهدونه الآن. (www.cese.iq/churchesAndConvents/ChristanCon/ArmienianOrthodox/AlQdesAjmeyadezen-Nenawa/AlQdesAjmeyadezen-Nenawa.html).

٢ - التخطيط والعمارة:

تعتبر كنيسة الأرمن الأرثوذكس من أجمل الكنائس من خلال ضمها للعديد من الجداريات واللوحات التي تزين أروقتها، ففي الباحة الخارجية هنالك جدارية بشكل دائري تضم الحروف الأرمنية بينما هنالك على الجدار المقابل جدارية كبيرة تمثل خارطة أرمينيا وأبرز الدلالات عليها من خلال موقع البطريركية الارمنية، كما يوجد في الباحة قبور لعدد من الآباء الكهنة من الذين تولوا رعاية الكنيسة في أعوام سابقة وجدارية تمثل مريم العذراء ونصب للشهيد الأرمني تم افتتاحه مع التأهيل الأخير الذي حظيت به الكنيسة عام ٢٠٠٩م، كما تقابل الباب الرئيس للكنيسة لوحة من الحلان الموصلي تمثل كنيسة البطريركية الارمنية في أرمينيا وتطالعك مجموعة من الايقونات داخل الكنيسة الجميلة، تتكون الكنيسة من عدد من الأقسام تتبعها بعض المرافق والملاحق الإدارية، وتعتبر قاعة الصلاة أهم وأبرز أقسام الكنيسة بمساحة تبلغ (١٨٠ م^{٢})، يضاف إليها الغرف الإدارية وبمساحة (١٨٠ م^{٢}) أيضاً، وقاعة الاجتماعات (١٥٠ م^{٢})، في حين ضمت الكنيسة ساحة مكشوفة بلغت مساحتها (١٩٠ م^{٢}) (زكريا هاشم، ٢٠٢١؛ زكريا هاشم، وآخرون، ٢٠٢٤، ٢٨/ ١٣٣) (لوح ٦).

٣ - مظاهر التخريب والتدمير:

أ – العبث بمحتويات الكنيسة:

تعرضت الكنيسة للتخريب على أيدي عناصر تنظيم داعش، إذ قاموا بنزع الصلبان من على جدران الكنيسة، وطمس جميع أيقوناتها، وتكسير لوحاتها التي كانت تزين الكنيسة، ومن أبرزها تدمير المذبح الرئيس للكنيسة والمعمول من الرخام والمزين بزخارف جميلة، وحرق الأجنحة

والمرافق الإدارية الملحقة بالكنيســـة، فضـــلاً عن طمس جميع الكتابات الموجودة على جدران الكنيسة ومن أبرزها اللوحة التأسيسية للكنيسة أعلى مدخلها الرئيس، وجاءت تلك الأعمال استناداً إلى الفتوى التي أصـــدرها ديوان القضـــاء في تنظيم داعش وفق الكتاب ذي العدد ١٠ الصـــادر بتاريخ ١٩ رمضان ١٤٣٥ الموافق ١٧ تموز ٢٠١٤م
(www.youtu.be/1NE5_AvTwdg?si=ph2n40ieLVPRv1Sf.) (لوح ٧).

ب – تحويل الكنيسة إلى ديوان الحسبة:

تحولت الكنيسة إلى ديوان للحسبة، فخصصوها مع باقي كنائس حوش البيعة كمقر لتسلم أجهزة الستالايت من أهالي الموصل، وكان عناصر ديوان الحسبة قد أمروا أهالي سوق الشعارين والسـرجخانة والمناطق المجاورة بتسـليم أجهزة السـتلايت وصـحون التقاط البث في ملحق ديوان الحسبة الذي خصصه في الكنيسة، وقد تم العثور على كميات كبيرة من الأطباق اللاقطة مكدسة هناك (زكريا هاشم، ٢٠٢١).

ج – تحويل الكنيسة إلى محتجز للمخالفين:

تحولت الكنيســـة إبان ســـيطرة تنظيم داعش إلى ســـجن ومحتجز للمخالفين من أهالي الموصل، وافراد اجهزة الأمن السابقين ممن أطلق عليهم تسمية المرتدين، وقد خصص لذلك جزء واســـع من الكنيســـة، بدليل تغطية شـــبابيك تلك الملحقات بالقطع الحديدية المماثلة للســـجون والزنزانات، وتظهر تلك الاجراءات على شـــبابيك الطابق العلوي وترك جزء منها بفتحات يســـمح للمحتجزين التحدث من خلالها.

(www.youtu.be/1NE5_AvTwdg?si=ph2n40ieLVPRv1Sf).

د – الأضرار جراء العمليات العسكرية:

وإبان فترة عمليات تحرير الموصل في شهر أيلول قامت عصابات داعش بافتعال حرائق في حزيران ٢٠١٧م، داخل بعض أجزاء الكنيســة الغير مدمرة وذلك لتعتيم رؤية طيران التحالف (لوح ٨).

ثالثًا – كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك:

١ – الموقع والتاريخ:

تقع بالجانب الأيمن من الموصـــل، في منطقة حوش البيعة إلى جانب كنيســـتي الطاهرة للسريان الأرثوذكس، وأتشميازين للأرمن، أطلق عليها عدة تسميات، مثل كنيسة القلعة، وكنيسة المحبول بها بلا دنس، وكنيسة مريم سيدة الانتقال، كانت تابعة للسريان الأرثوذكس قبل أن تؤول ملكيتها بفرمان من السلطات العثمانية لصالح السريان الكاثوليك وذلك عام ١٨٦٢م، وبنيت إلى

جنب كنيسة تحمل نفس الاسم (كنيسة الطاهرة القديمة) التي لا يعلم تاريخ بنائها بالتحديد، فهناك من يرجح أنها بنيت في القرن السابع للميلاد، في حين يرجح آخرون تاريخ تأسيسها يعود ما بين القرن الثاني عشر أو الثالث عشر للميلاد، ثم جددت عام ١٧٤٤م، وتنخفض أرضيتها عن محيطها بأكثر من مترين ونصف، ويعود أقدم ذكر لهذه الكنيسة إلى عام ١٦٧٢م، وهناك كتابة على باب هيكل الكنيسة تثبت أن آثارها تعود إلى عهد الحكم الجليلي في الموصل (١٧٢٦-١٨٣٤م)، وكانت الكنيسة تحتفظ بواحدة من أبرز التحف الفنية المسيحية في العراق وهي عبارة عن لوحة من المرمر تمثل مشهداً لمريم العذراء والسيد المسيح مؤطرة بكتابات سريانية (حبي، ١٩٨٠، ١؛ إلياس، ٢٠١٨، ٧٨ – ٨٠؛ العلاف، ٢٠٢٢، ١٠٢) (لوح ٩).

أما الكنيسة الجديدة (المحبول بها بلا دنس) فقد تأسست بناءً على فرمان عثماني صدر عام ١٨٥٩م، يأذن ببناء الكنائس لطائفة السريان الكاثوليك وشرع بوضع حجر الأسس للكنيسة، واستمر البناء إلى عام ١٨٦٢م، حيث افتتحت في كانون الثاني من ذلك العام، وتم تجديد الكنيسة بعد مئة عام من تأسيسها فكُسِيتْ بحجر الحلان وبنيت التريبين أعلى المذبح لحضور الطلاب وطالبات المدارس أثناء الاحتفالات الكبرى (إلياس، ٢٠١٨،٨٠).

٢ – التخطيط والعمارة:

تعد كنيسة الطاهرة من الكنائس التراثية المهمة للسريان الكاثوليك، تبلغ مساحتها الإجمالية أكثر من (١١٠٠ م^{٢})، وتتميز بجماليتها من ناحية التصميم المعماري بوجود الأعمدة والأقواس والجدران والأرضيات، كما تتميز بتعدد المذابح الموجودة بها وغرفة للعماد، وتضم أيضاً طابقاً نصفياً في أعلى صدر الكنيسة أضيف إليها في تجديد عام ١٩٦٩م، وقد أضفى هذا الطابق على تصميم الكنيسة مظاهر الفخامة والأبهة، وتتكون الكنيسة من قسمين رئيسيين:

أ – القسم الغربي: ويشمل البناية الرئيسة للكنيسة، مخططها مستطيل بازليكي ثلاثي، يتجه باتجاه الشمال تقريباً، يبلغ طول البناية نحو (٣٣ م)، من الشمال إلى الجنوب، وبعرض يبلغ (١٧ م) تقريبًا، من الشرق إلى الغرب، تبلغ مساحة هذا القسم من الكنيسة أكثر من (٥٦٠ م^{٢})، في حين أنشأ في الجهة الغربية منها ممراً يفصل بين الجدار الخارجي للكنيسة وبنياتها الداخلية، ويتقدم الممر المدخل الرئيس للكنيسة وقد زيّن بإطار من الرخام وأعمدة مدمجة.

ب – القسم الشرقي: ويلحق بالكنيسة من الجهة الشرقية ساحة مكشوفة واسعة يحيط بها من ثلاث جهات رواق مسقف بقبو تتقدمه أعمدة رخامية تطل على الساحة، ويضم الرواق مرافق الكنيسة الأخرى من غرف وحمامات، ومكتبة وغيرها، يبلغ مساحة هذا القسم نحو (٥٤٠ م^{٢}) (زكريا هاشم، وآخرون، ٢٠٢٤، ٢٨/ ١١٢).

٣ – اعمال التخريب:

بعد احتلال تنظيم داعش للموصل ٢٠١٤م، عمد عناصره إلى بسط سيطرتهم على كامل منطقة حوش البيعة، وأعلنوها منطقة خاصـــة للتنظيم، ومنعوا المواطنين المرور فيها ووضـــعوا لافتة كبيرة كتبوا عليها عبارة ممنوع الدخول بأمر (الدولة الإســـلامية)، عند مدخل حوش البيعة من جهة الشارع العام، وتحولت لمنطقة عسكرية خاصة بعناصر التنظيم ومقراً لهم، وقاموا بنزع الصـــلبان الحديدية الموضـــوعة على دور المســـيحيين في حوش البيعة، وعمدوا إلى مطرانية الكاثوليك المقابلة للكنيسة فأحرقوا كل الصور التي بداخلها (زكريا هاشم، ٢٠٢١).

أما الكنيسة فقد قاموا عناصر التنظيم بتحطيم القبور الموجودة في الكنيسة، وتشويه كل واجهات القبور، وتظهر الصـــور الجوية أن التنظيم قام، على ما يبدو، بمحاولة العبث ببناية الكنيسة فنشاهد بدءً من صور (Google Earth) يوم ٢٩ آب ٢٠١٥م، وجود أكداس من المواد في الفناء الداخلي الواقع شـرق الكنيسـة ربما كانت بقايا أثاث الكنيسـة أخرجها أعضـاء التنظيم لاسـتغلال قاعات الكنيسـة لأعمالهم الأخرى (لوح ١٠)، كما تظهر صـور أخرى قيام عناصـر التنظيم بهدم جزء من قبة الكنيســة خلال المدة ما بين ١٦ – ٢١ تشـرين أول ٢٠١٦م، ثم تبع ذلك إحداث شـق طولي في سقف الكنيسـة خلال الأسبوع الأخير من نفس الشـهر، وتظهر آثار ذلك الشــق في صــور (Google Earth)، ويبدو أن عرض ذلك الشــق بلغ نحو ثلاثة أمتار، وبطول بلغ نحو أكثر من (٢٠ م) (لوح ١١) ، ومن الغريب أن أي من المختصــين العاملين في مجال إعمار الكنيســة لم ينتبه لتلك الفتحة، حتى غننا لم نهتدي إلى الســبب وراء ذلك الإجراء الذي قام به عناصـر التنظيم ولم تسـعفنا المعلومات التي تم جمعها من أهالي المنطقة في تفسـير ذلك، بســبب انغلاق منطقة حوش البيعة بالكامل أمام أهالي الموصـــل فلم يكن يُعلم ما يجري بداخلها من أحداث.

وجاء التدمير الأكبر للكنيســة أثناء العمليات العســكرية التي صــاحبت معركة تحرير الموصــل ٢٠١٧م، فقد ظلت الكنيســة، مع باقي منشــآت حوش البيعة، بعيدة عن مرمى النيران حتى بداية تموز ٢٠١٧م، حين تعرضـت المنطقة بالكامل لضـربات عنيفة ومباشرة غير معروفة، ربما كانت ضــربات جوية، أدت إلى انهيار جزء كبير من مبنى الكنيســة لا ســيما في القســم الجنوبي منها، فسقطت القبة بالكامل، مع انهيار أغلب سقف الكنيسة، ويبدو أن إصابتها كانت جراء أكثر من ضـربة لأن التدمير أدى إلى انهيار القسـم الأوسـط والجنوبي من بناية الكنيسـة، ويظهر من الصـور الجوية أن توقيت الضـربة كان ما بين ١ – ٤ تموز ٢٠١٧م، ولم يتبق من القسـم الغربي من الكنيســة سـوى الجدران الخارجية مع اجزاء من السـقف في الجهة الشـمالية الشرقية (لوح ١٢).

وبعد انتهاء عمليات تحرير الموصل ٢٠١٧م، ظهر الدمار الكبير على الكنيسة بشكل يثير الأسف على واحد من أبرز الصروح الدينية في مدينة الموصل، نتيجة الأعمال العسكرية التي صاحبت تحرير الموصل، فقد اتخذها عناصر التنظيم مقراً لمهاجمة القوات الأمنية العراقية، وموقعاً تحصنوا فيه أثناء ذلك، مما جعلها هدفًا للقصف المدفعي والضربات الجوية، وأدت تلك الأعمال إلى تدمير كبير في مبنى الكنيسة فانهار سقف الكنيسة بالكامل وأصيبت باقي مرافق الكنيسة بأضرار بالغة، فكانت الساحة الشرقية للكنيسة بما فيها من اعمدة الأروقة وجدران الغرف متضررة بشكل كبير نتيجة ما أصابتها من قذائف مدفعية أو صواريخ طائرات (لوح ١٣).

وبعد تحرير المدينة بدأت الأعمال لإعادة إعمار الكنيسة من قبل منظمات دولية، فتولت إحدى الشركات أعمال التنظيف ورفع الأنقاض والركام من موقع الكنيسة وتطهيرها من الألغام والقنابل غير المنفلقة باستخدام الآليات الثقيلة، وتهيئة الموقع لإعادة البناء، إلا أن الطريقة التي تمت بها تلك العملية لم تكن مدروسة إنما عبثية وبعيدة عن المعايير المتبعة في التعامل مع المباني الأثرية والتاريخية (لوح ١٤)، فتم رفع الأنقاض بصورة عشوائية غير مبالين بقدسية المكان وحرمته لا الدينية ولا الأثرية، وقد تسبب العمل بتلف كبير للكنيسة تمثل بهدم مدافن الكهنة تحت الكنيسة، وإحداث أضرار حتى في الكنيسة القديمة المجاورة التي يعود تاريخها إلى القرن السابع للميلاد والتي تحمل اسم مريم العذراء سيدة الانتقال، فضلاً عن إتلاف الأنقاض التي تم رفعها من الموقع بما فيها من قطع رخام ومرمر كانت تزيين الكنيسة والتي يمكن إعادة تشكيلها ومعالجتها ووضعها في أماكنها الأصلية، ثم برزت هذه المشكلة مطلع ٢٠١٩م، مما حدا برئيس الكنيسة بإقامة دعوى لدى المحاكم العراقية على المنظمة الدولية، فتم إيقاف أعمال تلك الشركة وتشكيل لجنة تحقيق (الحركة الآشورية الديموقراطية، ٢٠١٩، www.zowaa.org.).

استأنفت أعمال التعمير والصيانة في بناية الكنيسة تحت إشراف منظمة اليونسكو العالمية، وجرى التعامل مع بناية الكنيسة بمستوى عال من الحرفية والالتزام بالمعايير والضوابط العالمية، فتم تدعيم الجدران المتبقية للكنيسة في الجانبين الشرقي والغربي منها، وجمع كل بقايا مواد البناء التي استخرجت من أنقاض الكنيسة من حجر ورخام وأخشاب وغيرها، وتم تصنيفها حسب وظيفتها الانشائية، فيما تمت معالجة بقايا الأعمدة الداخلية للكنيسة، فجرى إعادة صيانة ما تم العثور عليه من بقايا تلك الأعمدة ووضعها في مكانها وإكمال نواقصها، وعمل أعمدة جديدة على شكل الأعمدة الأصلية، آخذين بنظر الاعتبار البحث عن مادة رخام متطابقة مع الرخام الأصلي الذي عُملت منه الأعمدة القديمة، كما تمت معالجة أعمال الريازة من رسومات وزخارف كانت تزيين جدران الكنيسة وإعادتها إلى سابق رونقها وجمالها، وتمت معالجة جميع شواهد القبور

المتضررة والمعمولة من الرخام والمرمر والتي كانت تزيين جدران الكنيسة (زكريا هاشم، ٢٠٢١) (الألواح ١٥ – ١٦).

الخاتمة:

ومن أبرز النتائج التي تم الخروج بها من هذه الدراسة:

- يعد مجمع حوش البعة من أبرز المراكز الدينية المسيحية في العراف بشكل عام والموصل بشكل خاص، لذا كان يتمتع بخصوصية تميزه عن باقي مكونات المدينة.
- بعد سيطرة تنظيم اعش على المدينة عام ٢٠١٤ أغلقت المنطقة بالكامل أمام أهالي الموصل وتحولت إلى ثكنة لعناصر تنظيم داعش.
- قام عناصر التنظيم بعملية تخريب وطمس جميع الأيقونات والصلبان في كنائس المجمع.
- تم العثور على دلائل الحفر في أرضية كنائس المجمع بحثاً عن الكنوز والمدفونات هناك مما تسبب بتدمير قبور رجال الدين المسيحي المدفونين تحت أرضية المجمع.
- اتخذت كنائس حوش البيعة من قبل التنظيم كمقرات إدارية وعسكرية حالها في ذلك كحال بقية الكنائس في محافظة نينوى.
- تعرضت كنائس حوش البيعة للتدمير نتيجة العمليات الحربية أثناء تحرير الموصل ٢٠١٧، وكانت كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك من أكثر الكنائس تضرراً جراء العمليات الحربية.
- أظهرت الدراسة أن هناك خللاً في إعادة ترميم إحدى الكنائس تسبب في إتلاف وضياع الكثير من معالمها، الأمر الذي أثار استياءً كبيراً بين الأوساط العلمية العراقية، فتمت إعادة الترميم وفق الأصول والضوابط المتبعة عالمياً.

لوح (١)

موقع مجمع كنائس حوش البيعة

نقلاً عن: Google Earth

لوح (٢)

جانب من كنيسة الطاهرة للسريان الأرثوذكس

نقلاً عن:

(زكريا هاشم وآخرون، ٢٠٢٤، ٢٨/ ١٣٥)

لوح (٣) كنيسة الطاهرة للسريان الأرثوذكس قبل التخريب

أ – الفناء الخارجي للكنيسة

ب – مدخل الكنيسة

لوح (٤)

انهيار السقف وركام المبنى نقلاً عن: (زكريا هاشم وآخرون، ٢٠٢٤، ٢٨/ ١٣٩)

لوح (٥)

تدمير كامل للمذبح نقلاً عن: (زكريا هاشم وآخرون، ٢٠٢٤، ٢٨/ ١٣٩)

لوح (٦) منظر عام لكنيسة الأرمن الأرثوذكس

لوح (٧)

نقلاً عن: www.ishtartv.com/viewarticle,100036.html.

لوح (٨) بقايا الركام في باحة كنيسة الأرمن الأرثوذكس

نقلاً عن: www.ishtartv.com/viewarticle,100036.html.

لوح (٩)

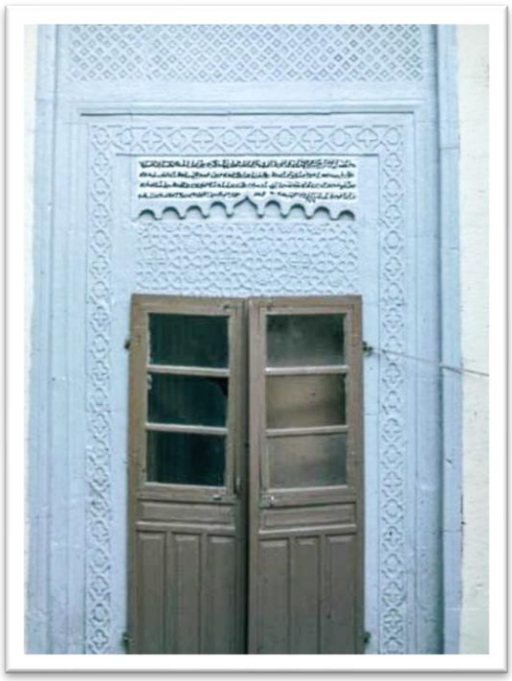

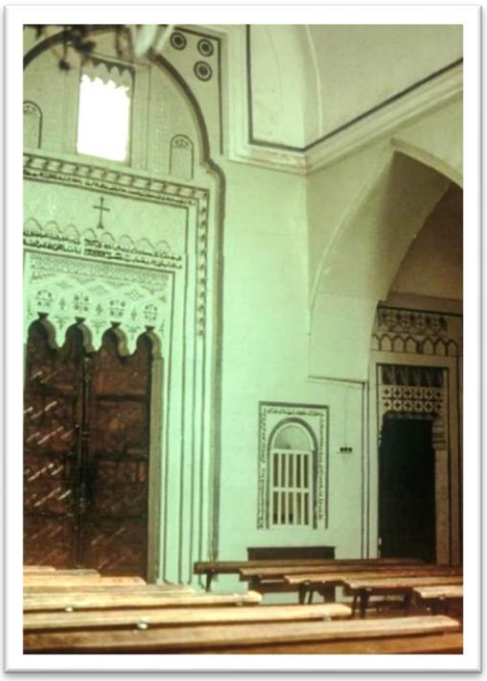

جوانب من عمارة كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك قبل التخريب

نقلاً عن:

www.mesopotamiaheritage.org/ar/monuments/leglise-syriaque-catholique-al-tahira-lancienne-de-mossoul/

لوح (١٠)

أكداس لمواد مختلفة في باحة كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك نقلاً عن: Google Earth

لوح (١١)

إزالة جزء من سقف كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك نقلاً عن: Google Earth

لوح (١٢) الأضرار التي أصابت كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك

أ – مدخل الكنيسة الرئيس

ب – بقايا الجهة الشمالية من الكنيسة

نقلاً عن:

www.mesopotamiaheritage.org/ar/monuments/leglise-syriaque-catholique-al-tahira-lancienne-de-mossoul/

لوح (١٣) جوانب من بقايا الكنيسة

أ – أحد أبواب الكنيسة المرمرية

ب – الجهة الغربية من الكنيسة

نقلاً عن:

www.mesopotamiaheritage.org/ar/monuments/leglise-syriaque-catholique-al-tahira-lancienne-de-mossoul/

لوح (١٤)

أعمال التنظيف ورفع الأنقاض لاستخدام الآليات الثقيلة نقلاً عن:
www.facebook.com/UNESCOIraq/videos.

لوح (١٥)

الجهة الغربية من الكنيسة بعد رفع الأنقاض نقلاً عن:
www.google.com/maps/place.

لوح (١٦)

كنيسة الطاهرة للسريان الكاثوليك بعد إتمام عملية التنظيف

نقلاً عن:

www.facebook.com/RudawArabi/photos/pcb.3917129958372008/3917129818372022.

قائمة المصادر:

إلياس، سامر (٢٠١٨) كنائس الموصل التاريخ والألم. مطبعة هاوار. دهوك.

بيان للحركة الديموقراطية الآشورية (٢٠١٩) .www.zowaa.org

حبي، الأب يوسف (١٩٨٠) كنائس الموصل. بغداد.

زكريا هاشم أحمد الخضر، وآخرون (٢٠٢٥م) الكنائس والديارات. موسوعة إرهاب القاعدة وداعش. العتبة الحسينية. كربلاء.

زكريا هاشم أحمد الخضر (٢٠٢١) زيارة ميدانية لكنائس حوش البيعة بتاريخ ١٧ تشرين الأول ٢٠٢١م.

العلاف، إبراهيم خليل (٢٠٢٢) مساجد الموصل وجوامعها وكنائسها ومعابدها ومقاماتها. دار نون للطباعة والنشر. الموصل.

www.cese.iq/churchesAndConvents/ChristanCon/ArmienianOrthodox/AlQdesAjmeyadezen-Nenawa/AlQdesAjmeyadezen-Nenawa.html.

www.facebook.com/RudawArabi/photos/pcb.3917129958372008/3917129818372022.

www.facebook.com/UNESCOIraq/videos.

www.google.com/maps/place.

www.ishtartv.com/viewarticle,100036.html.

www.mesopotamiaheritage.org/ar/monuments/leglise-syriaque-catholique-al-tahira-lancienne-de-mossoul.

www.youtu.be/1NE5_AvTwdg?si=ph2n40ieLVPRv1Sf.

References:

Al-Allaf. I. K (2022) The Mosques, Congregations, Churches, Temples, and Shrines of Mosul. Noon Printing and Publishing House, Mosul.

Elias, Samer (2018) The Churches of Mosul: History and Pain. Hawar Press, Dohuk.

Habbi, Father Youssef (1980) The Churches of Mosul. Baghdad.

Statement of the Assyrian Democratic Movement (2019) www.zowaa.org.

Zakaria Hashim & others (2025) Churches and Monasteries. Encyclopedia of Al-Qaeda and ISIS Terrorism. Al-Hosainia Holy Shrine, Karbala.

Zakaria Hashim (2021) A field visit to the churches of Hosh Al-Bay'a on October 17, 2021.

www.cese.iq/churchesAndConvents/ChristanCon/ArmienianOrthodox/AlQdesAjmeyadezen-Nenawa/AlQdesAjmeyadezen-Nenawa.html.

www.facebook.com/RudawArabi/photos/pcb.3917129958372008/3917129818372022.

www.facebook.com/UNESCOIraq/videos.

www.google.com/maps/place.

www.ishtartv.com/viewarticle,100036.html.

www.mesopotamiaheritage.org/ar/monuments/leglise-syriaque-catholique-al-tahira-lancienne-de-mossoul.

www.youtu.be/1NE5_AvTwdg?si=ph2n40ieLVPRv1Sf.